مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 23 العدد: 1 السّنة: الثّلاثيّ الأوّل 2021 ص:133-148

الدّرس النحويّ في المغرب والأندلس، بحث في الجذور والأعلام والخصائص

Grammatical lesson in Morocco and Andalusia research into roots, flags and properties.

د .فاطيمة فارز[1]

تاريخ الاستلام: 03-11-2019 / تاريخ القبـــول: 13-08-2020

الملخص: ممّا لا ريب فيه أنّ الإرهاصات والبواكير الأولى للفكر اللّغوي والنّحوي في المغرب والأندلس قد ظهرت بعد فتح المسلمين؛ وقد كان هذا الفتح دافعا قويّا لنشأة العلوم اللّغويّة عامّة وعلم النّحو خاصّة؛ إذ كان الأساس الأوّل هو القرآن الكريم من خلال فهمه وإدراك تعاليمه.

فقد نشأ النّحو إذن من أجل الحفاظ على القرآن الكريم ولغته فحظي بعديد الدّراسات التي تناولت مراحل النّشأة والتّطوّر بغيّة الحفاظ على عربيّة القرآن وحمايته من التّحريف والتّزييف، وأيضا بفعل النّحاة القادمين من العراق ومصر، وبجهود الرّاحلين إلى المشرق من المغاربة والأندلسيين؛ وقد أسهموا في تنميّة الدّرس النّحوي وتيسيره وتذليل صعوباته ممّا جعل تلك الحقبة زاخرة بالشّروح اللّغويّة ولا سيما النّحويّة منها تنمّ عن دقائق فكرهم وعميق نظرهم واستقامة لغتهم وقوّة ملكاتهم.

الكلمات المفتاحيّة: الدّرس النّحوي؛ المدرسة المغاربيّة؛ المدرسة الأندلسيّة التيسير؛ المتون النّحويّة.

[1] ج. تيارت الجزائر، البريد الإلكتروني: farez1980@gmail.com (المؤلّف المرسل)

Abstract: The grammar lesson in Morocco and Andalusia, research into the roots and the summed-up flags:

No doubt the precursors and growing up as the first thought and language and, as in Morocco and Al-Andalus has emerged after the opening of the Muslims; it was for the conquest of the strong motivation for the emergence of the science of language in general and grammar in particular; it was the First Foundation is the Quran by his understanding and realization of his teachings.

They have contributed to the development and facilitation of the grammatical lesson and to the elimination of its difficulties making this era rich in linguistic explanations especially grammatical ones, reflecting minutes of thought profound insight, the integrity of their language and the power of their Queens.And properties.

Keywords: grammar ; Moroccan school ; Andalusian school ; facilitation grammar.

1-مقدّمة: إنّ قراءة واعيّة ودقيقة للتّراث النّحوي المغاربي والأندلسي لكفيلة بأن تكشف عن الأفكار الأصيلة الثّريّة والتّحليلات العميقة والمناهج النّافعة الغنيّة، والتي ظلّت -في حقيقة الأمر- ردحا من الزّمن غير مبجّلة ولا معظّمة وهي لا تقل قيمة عمّا جاءت به الدّراسات اللّغويّة والنّحويّة في المشرق؛ بل كان بعض منها أساسا لتأصيل الدّرس النّحوي الذي يحمل قيمة علميّة تستحق التّنويه والإشادة، وأن تكون في مستوى النّحو العربي الشّامخ في المشرق.

لقد حظي الدّرس النّحوي عند المغاربة والأندلسيين بكثير من الرّعايّة والعنايّة لصلته الوثيقة بمصدري التّشريع الإسلامي: القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف وأيضا لأنّ النّحو حمل منذ نشأته بذور العبقريّة العربيّة؛ كونه يكشف عن معاني بنيّة الخطاب ودلالتّه من خلال دراسته لآليات الجملة ومكوّناتها ولأنّ اللّغة العربيّة بنحوها تعدّ رافدًا من روافد الفكر الحضاري الأصيل والحديث.

تعدّ المدرسة النّحويّة في المغرب والأندلس إرثا علميا وصرحا معرفيا نظير الجهود الطّيّبة والمعتبرة والتي خدمت العربيّة عموما والنّحو خصوصا، فهذه المجهودات العلميّة واللّغويّة أسهمت في إرساء منهجي المدرستين؛ فقد كانت دراساتهم تيسيريّة تسهيليّة كالمنظومات الشّعريّة التّعليميّة والمؤلّفات المختصرة والمتون النّحويّة التي تحمل زبدة النّحو وخلاصته، والتي جاءت بأسلوب منسّق ومرتّب لتسهيل حفظها وتبسيط فهمها وإدراك معانيها. فلا عجب، إذن من التّسليم بوجود مدرسة مغاربيّة وأندلسيّة لهما خصائص متميّزة وحدود واضحة والتي مازلنا ننتفع بها ونحيا وننهل من كنوزها المليئة بالدّرر إلى غايّة يومنا هذا، فهي حقا مفخرة لنا.

وانطلاقا ممّا سبق آثرنا البحث في: الدّرس النّحوي في المغرب والأندلس بحث في الجذور والأعلام والخصائص، وما هذه الدّراسة إلّا محاولة لاستكشاف تلك الجهود التي قدموها في مجال الدّرس النّحوي. وقد حاولنا ملامسة هذه الإشكاليّة بالإجابة عن التّساؤلات التّاليّة:

هل حظيت الدّراسات اللّغويّة العربيّة باهتمام علماء المغرب والأندلس؟ وماهي الأسباب التي أدت إلى نشأة الدّرس النّحوي وتطوّره؟ هل كان النّحو العربي من أهمّ العلوم اللّغويّة التي اهتمّ بها أعلام المغرب والأندلس؟ ما هي أهمّ منجزاتهم اللّغويّة ومؤلّفاتهم

النّحويّة؟ ما الفارق الرّئيس بين الدّراسات اللّغويّة في المغرب والأندلس عن نظيرتها في المشرق؟ وما نقاط الائتلاف والاختلاف؟ وهل كانت لبحوثهم ودراساتهم تأثير على الغير؟

وقد ارتأينا أن نعالج الموضوع من خلال العناصر الآتيّة:

- **إرهاصات الدّرس النّحوي في المغرب والأندلس؛**
- **الإنجازات النّحويّة المغاربيّة والأندلسيّة وأهم أقطابها؛**
- **أثر المؤلّفات النّحويّة المغاربيّة والأندلسيّة في إثراء النّحو العربي.**

2-إرهاصات الدّرس النّحوي في المغرب والأندلس: ممّا لا ريب فيه، أنّ سكّان المغرب والأندلس ليسوا بعرب، وإنّما عرّبهم الإسلام الذي اختاروه دينا لهم بعدما رأوا أنّه العامل الوحيد الذي يجمع شملهم ويخرجهم من حياة العبث واللّهو واللّامبالاة فـ "قرنا ونصف قرن في خضم الفوضى والغموض جعلت المغرب أحوج ما يكون إلى زعيم من طراز يوسف بن تاشفين الذي ما لبث أن استكمل توحيد المغرب الأقصى"[1].

"فقد طهّر المغرب من الظّلم والفساد وتوحّدت أقاليمه بعد طول الفرقة وقطع دابر الخلاف المذهبي والسّياسي الذي كان سببا في كثير من الحروب الدّاخليّة العنيفة"[2].

فكان "يوسف بن تاشفين زعيم الدّولة المرابطيّة الذي وطّد دعائمها، وشاد ملكها السّياسي وكان قرينه عبد المؤمن بن علي هو الذي وضع أسس الدّولة الموحّديّة ووطّد دعائمها. واستطاعت الدّولة الموحّديّة بعد أن قضت على الدّولة المرابطيّة أن تسيطر على نفس الرّقعة الإقليميّة الشّاسعة التي كانت تحتلّها، سواء في المغرب أم الأندلس، وإن كانت الأندلس لم تخلّص للموحّدين إلاّ بعد فترة من الصّراع المحلّي ولاسيما ضدّ الثّورة في شرق الأندلس"[3] والحافز الذي حرّك المرابطين والموحّدين نحو الأندلس حافز الجهاد بمفهومه الدّيني فضلا عن الأطماع المألوفة والمتجسّدة في السّيطرة على بلد غنيّ ومزدهر علميّا[4]. فهذا الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، لم يتمّ إلاّ في نهايّة القرن الأوّل الهجري، وهذا ما أدّى إلى تأخّر الدّراسات اللّغويّة وغيرها من فروع الحياة عن مثيلاتها في المشرق[5]، فالفاتحون العرب من عهد موسى بن نصير ينقلون في البلاد ما عرفوه في الشّام من لغة وأشعار ونحوها إلى غايّة عهد الخليفة عبد الرّحمن النّاصر الذي أراد "أن يقلّد العباسيين، ورأى أنّ ليس هناك معلّمون كبار ينشئون الثّقافة العربيّة بين أهل الأندلس، فقرّر أن ينتدب لذلك بعض أهل المشرق، وبعد تفكير طويل رأى أنّ أصلحهم أبو علي القالي فاستدعاه إلى قرطبة"[6].

وقبل هذه الفترة كانت طبقة من المعلّمين قد أخذت على عاتقها تدريس اللّغة وقواعدها لناشئة الأندلس وكهولها، وقد كان تعلّم أبناء الخاصّة كما تعلّم أبناء العامّة في المساجد[7]، "يلّقنونهم دروسا في مبادئ العربيّة عن طريق مدارسة النّصوص والأشعار"[8].

وكانت دروسهم تتناول علوم النّحو والصّرّف والبلاغة والعلوم اللّسانيّة بصفة عامّة[9]. ذلك "أنّ المؤدّبين إنّما كانوا يعانون إقامة الصّناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها وتقريب المعاني لهم في ذلك، ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربيّة وغوامضها والاعتلال بمسائلها ثمّ كانوا لا ينظرون في إمالة ولا إدغام ولا تصريف ولا أبنيّة ولا يجيئون في شيء منها "[10].

فلم "يكن الاهتمام باللّغة والنّحو إلاّ وسيلة للتّعمق في الفقه وعلم الحديث ولذا ظلّت اللغة في منأى عن الصّفوف الأولى في القرنين الثّاني والثّالثّ الهجريين، ولم يبزغ نجمها إلاّ في القرن الرّابع الهجري"[11]، و"كان الأساس الأوّل للثّقافة والأدب في المغرب والأندلس هو القرآن الكريم وعلوم الدّين واللّغة"[12].

وممّا تجدر إليه الإشارة هاهنا، أنّ البدايات الأولى للفكر اللّغوي والنّحوي في المغرب والأندلس، قد بدت ملامحها وتجلّت من خلال إقبالهم على تعلّم القرآن الكريم وفهم لغته- التي تتميّز بخصائص صوتيّة وتركيبيّة ودلاليّة عجيبة وجزالة اللّفظ ودقته وإعجازه- بوصفه نصّا يجمع في بنيته أشكال الكتابة جميعا، وتداخلها سردا وحوارا، قصصا وتاريخا، حكمة وأدبا والمحافظة عليه من ألسنة النّاس، التي كثر فيها الخطأ واللّحن والعدول عن نظام اللّغة العربيّة الفصيحة إفرادا وتركيبا ممّا يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صوّرتها لعدم تعلّمهم اللّغة العربيّة تعلّما صحيحا، فكان لزاما على الدّارسين الهجرة والسّفر إلى المشرق، وقد تنوّعت رغباتهم العلميّة وتباينت فمنهم من يؤثّر روايّة الحديث ومنهم من يطلب الفقه، ومنهم من يَلقى الشّعراء المشارقة، كما أنّ منهم من يطلب اللّغة والنّحو[13]، وإن كان -النّحو-"رأس العلوم عندهم-المغاربة والأندلسيين-"[14]، وقد نشأ النّحو أوّل أمره في البصرة صغيرا واختلف في تحديد أوّل من وضع خطوطه الأولى، فقيل أبو الأسود الدّؤلي(ت 69 هـ) وقيل نصر بن عاصم (ت 90 هـ)، وقيل عبد الرّحمن بن هرمز(ت 117هـ).

ولكنّ أكثر النّاس على أنّه أبو الأسود الدّؤلي، فقد قيل عنه أنّه: "هو أوّل من أسّس العربيّة، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها"[15] وإن اختلفت الرّوايات في ذلك، وكان

ظهور هذا العلم الفتيّ – مثلما ذكرنا سالفا– مرتبطاً بظهور اللّحن وشيوعه بين المتكلّمين والتي امتدت إلى قراءة القرآن الكريم خاصّة، والنّحو في بدايّة هذه المرحلة، لم ينفصل عن بقيّة البحوث والدّراسات القرآنيّة؛ بل ظلّ مرتبطا بها لصونها وحفظها، أمّا في المرحلة الموالية فقد استقلت الاجتهادات و البحوث اللّغويّة والنّحويّة عن الدّراسات القرآنيّة، بعد ما كانت لصيقة بها في الطّور السّابق، ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ النّحويين قد استوعبوا تلك الظّواهر دراسة وتقنينا، ممّا مكنّهم من تحديد المصطلحات وكذلك ما عرف من شيوع للمصنفات، ولعلّ أهمّها الكتاب(كتاب سيبويه)، وما له من دور فعّال في دفع وتيرة الفكر النّحوي العربي، ونقلها نقلة نوعيّة وكان له أن أذهل معاصريه، ومن لحقهم بعد ذلك[16].

وكان أن عرفت السّاحة العلميّة تجديدا، بأن تعدّدت مراكز البحث النّحوي فبعدما كان البحث مقتصرا على البصرة وحدها انتقل في هذا الطّور إلى الكوفة[17].

وتوالتّ بعدها رحلة انتقال البحث النّحوي إلى مراكز جديدة، ليصل إلى بغداد ومصر والشّام، والمغرب، والأندلس، والتي أصبحت تعرف بعد ذلك بالمدارس النّحويّة، ولكلّ مدرسة خصائص[18].

3-الإنجازات النّحويّة المغاربيّة والأندلسيّة وأهمّ أقطابها: لقد "تعدّدت المراكز الثّقافيّة، وأصبح لكلّ دولة من دول الطّوائف مركز مهمّ من مراكز الأدب والعلم كقرطبة واشبيليّة، غرناطة والمريّة، كما أنّ إنشاء المكتبات وجمع الكتب في مختلف العلوم ساعد على إثراء العقول وحفّز على نشاطها وإبداعه"[19].

ونهضت المغرب تجاري الأندلس بحكم قرب الجوار واتحاد اللّغة والدّين فتجشّم أفراد منهما الأسفار إلى المشرق بغيّة تحصيل العلم والتّزوّد بمؤلّفات ومعارف المشارقة فلقي بعضهم مشاهير اللّغويين في البصرة والكوفة أمثال الأصمعي والسّجستاني والكسائي وتوغّل بعضهم فلقي الأعراب وأخذ اللّغة عنهم مباشرة. وأصبح كتاب سيبويه غايّة في تحصيل هذا العلم[20]، وتقابل هذه الرّحلة الأندلسيّة إلى المشرق هجرة بعض المشارقة إلى الأندلس ممّن لهم اهتمام باللّغة والنّحو[21]، ولأنّ هدفهم لم يكن علميّا في الغالب، فبعض العلماء المشارقة كان يضيق بهم الشّرق من الفقر فيرحلون إلى الأندلس على عكس الأندلسيّين الذين كانوا يأتون المشرق طلبا للعلم[22]، فقد كانت قرطبة "أكبر قطب علمي تجتذب إليها المشتغلين بالعلوم اللّغويّة"[23].

إلاّ أنّه كان للمغاربة فضل السّبق على الأندلسيين لقرب بلادهم من المشرق وبعد الأندلس منه[24].

وتجمع المصادر على أنّ الأندلسيّين قد عرفوا نحو الكوفة قبل أن يعرفوا نحو البصرة وذلك راجع لكون كتاب الكسائي قد وصل إلى الأندلس قبل كتاب سيبويه ويقال إنّ جودي بن عثمان كان أوّل من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس[25].

وأوّل من أدخل كتاب سيبويه وأقرأه لطلابه بقرطبة هو الإفشين محمّد بن موسى بن هاشم (ت 309هـ)[26] ولمنزلة كتاب سيبويه في نفوسهم، سمّوه قرآن النّحو وبذلك "أصبح الكتاب المصدر الأوّل للنّحو العربي"[27].

وقد عدّ بعض العلماء والباحثين هذا الاهتمام العظيم الذي حظي به كتاب سيبويه عاملا مضاعفاً للاهتمام بالنّحو، وفي هذا الصّدد نلفي أحمد مختار عمر يقول: "أنّه من سوء حظ النّحو العربي أن جاء كتاب سيبويه في وقت مبكر جدّا، لا يتجاوز النّصف الثّاني من القرن الثّاني الهجري، إذ نتج عن تفوّقه، وشدّة إعجاب النّحاة به أن أصيب التّفكير النّحوي بشلل، ودار الجميع في فلك سيبويه واتخذوه أساسا لدراستهم، ولذا لم يطوّروا هذه الدّراسة بالقدر الكافي"[28].

وممّا هو جدير بالتّنويه أنّ العلوم اللّغويّة والنّحويّة قد ازدهرت بالمغرب والأندلس وتمكّن علماؤها من الارتقاء بالجانب العلمي والمعرفي، فأبدعوا في مختلف الميادين وإن كانوا في بدايّة مشوارهم قد اكتفوا بدراسة كتب النّحو المشرقيّة وشرحها فإنّهم بعد أن استقامت لغتهم وقوت ملكاتهم صنّفوا ووضعوا المؤلّفات التي ذاع صيتها واشتهرت داخل المغرب والأندلس وخارجها.

ومن نحاة المدرسة المغاربيّة على سبيل المثال لا الحصر؛ وقد رتبناهم بحسب تاريخ وفاتهم:

- **جودي بن عثمان** (ت 198 هـ) كتابه "منبه الحجارة"؛
- **حمدون النّحوي** (ت 200هـ)؛
- **الحسن بن علي التيهرتي** (ت501هـ)؛
- **اللّخمي** (ت 570هـ) من مؤلّفاته "المدخل إلى تقويم اللّسان وتعليم البيان"؛
- **الجذب** (ت 580هـ) من مؤلّفاته "مدونة مشهورة سمّاها الطّور وله تعليق على كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي"؛

-**الجزولي** (ت 607 هـ) من مؤلّفاته "شرح الأصول في النّحو لابن السّراج والجزوليّة المقدومة الجزوليّة"؛

-**ابن خروف** (ت 609هـ) من مؤلّفاته شرح على كتاب سيبويه سمّاه "تلقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب"، وله كتاب في "الفرائض" وله شرح على كتاب الجمل للزجاجي" تنزيه أئمّة النّحو عما نسب إليهم من الخطأ والسّهو" ردّا على ابن مضاء النّحوي لما ألّف كتابه" تنزيه القرآن عما يليق بالبيان".

-**ابن معط** (ت 628 هـ) من مصنفاته "الذيرة الألفيّة في علم العربيّة" "العقود والقوانين في النّحو"شرح كتاب "الجمل في النّحو" لابن خالويه و"المثلّث في اللّغة"؛

-**ابن آجروم** (ت 672 هـ) ألّف "فوائد المعاني في شرح حرز المعاني" ويعرف "بشرح الشّاطبيّة"؛

-**مجد الدّين المراكشي** (ت 676 هـ)؛

-**حافي رأسه** (ت 693هـ)؛

-**الحفيد مرزوق** (ت 842 هـ) مؤلّفه "أنواع الذيراري في مكرّرات البخاري" وأيضا "المفاتيح المرزوقيّة كلّ الأفعال واستخراج خبايا الخزرجيّة ".

ومن أعلام النّحو الأندلسي - ومن المؤكّد أنّنا لن نستطيع أن نتكلّم عن كلّ الرّواد الأندلسيين -الذين خدموا اللّغة العربيّة، فعلّموها لسكان الأندلس وحاولوا تبسيط مسائلها وقواعدها، سنكتفي بذكر نماذج من هؤلاء النّحاة؛ الذين تركوا بصمات طيّبة في تاريخ النّحو العربي الأندلسي:

-عبد الله بن حرشن؛

- عبد الله بن سوارين طارق القرطبي (ت275هـ)؛

-عبد الله القرطبي المالكي؛

-الأفشين القرطبي؛

-أبو القاسم السّهلي؛

- محمّد بن يحي بن عبد السّلام الأزدي أبو عبد الله (ت 358هـ)؛

- أبو حيان الأندلسي الغرناطي (ت 745هـ).

4-أثر المؤلّفات النّحويّة المغاربيّة والأندلسيّة في إثراء النّحو العربي: لقد عرفت الدّراسات اللّغويّة والعلوم النّحويّة ازدهارا وتطوّرا كبيرين على يد نحّاتها الذين برعوا في الإلمام بجوانب مختلف العلوم العربيّة. "غير أنّ أظهر ما في نحو المغاربة والأندلسيين، هو منهجهم وطريقتهم في التّعامل مع كثير من الأصول النّحويّة التي ظلّت زمنا غير قصير على جمودها، والتّبعيّة والتّقليد في الأخذ بها.

فكان منهجهم في تقديم النّحو مادة تعليميّة؛ منهجا لم نجد له نظيرا فيما تقدّم فقد سبقوا في ذلك دعاوي التّجديد والتيسير، التي سرت بين الباحثين في مطلع القرن العشرين فكانوا السّباقين إلى تيسير النّحو، وتبسيطه للمتعلّمين، بما خلصوه منه من المباحث والأبواب المكدّة، وبما استعانوا به من الأمثلة البسيطة الواضحة وبما عرضوه فيه من أسلوب شائق رائق، فكانت مادته هيّنة ليّنة، تسيل على السّنة الطّلاب سيلا"[29].

ونظرا لما ألفيناه من شمول وإحاطة وتأصيل يجعلنا نجزم بوجود مدرسة نحويّة متميّزة ظاهرة على ما سواها، مؤثرة فيما بعدها، ورثت نحو المشرق، وتربّعت على عرش الدّرس النّحوي بعد زوال سلطانه، واستمّر إشعاعها زمنا غير يسير.

وكان للمذهب الدّيني أثره الواضح في نحو المغاربة، وخصوصا في التّعامل مع الحديث النّبوي الشّريف وجعله مصدرا من مصادر الاستشهاد، فأكثروا منه، حتى عيّبوا على ذلك[30].

ويعدّ الحديث النّبوي الشّريف من بين مصادر الاحتجاج؛ باعتباره المصدر الثّاني بعد القرآن الكريم، وقبل الشّعر العربي، وهو نهج مخالف لنهج المشارقة، الذين رفضوا الاحتجاج به، وقدّموا الشّعر على القرآن الكريم في الاستشهاد والاحتجاج وكان ترتيب المصادر عند المغاربة، يبدأ بالقرآن الكريم ثمّ الحديث النّبوي الشّريف، ثم الشّعر العربي وهو المعمول به حاليا؛ بحيث أخذ مجمع اللّغة العربيّة، بهذا الرّأي حين عدّ الحديث ممّا يستشهد به في قضايا اللّغة والنّحو، ليس على سبيل الإطلاق ولكن على سبيل التّوسّط والاعتدال.

كما ابتكر نحاة المغرب، طريقة المتون النّحويّة الشّعريّة والنّثريّة، وسيلة من وسائل تعليم النّحو، وتقديمه للطّلاب، في إيجاز وسهولة، تضمن حفظه وتذكر أحكامه وقواعده فكانت ألفيّة ابن مالك وألفيّة ابن معط، ومتن الآجروميّة شاهدا على ابتكارهم.

فانفراد المغاربة بتأليف المنظومات النّحويّة كان لأغراض تعليميّة؛ فقد نالتّ ألفيّة ابن مالك نصيبا معتبرا في الزّوايا، كما أنّهم يقدّسون القرآن أيّما تقديس ويتجلّى ذلك في حفظهم للمتون النّحويّة، وهذا ما ظهر في فكر حمدون النّحوي(ت200هـ) الذي قيل عنه: إنّه أوّل من حفظ كتاب سيبويه عن ظهر قلب، وهذه المتون هي ترسيخ للنّحو في معناه الأصلي[31].

وقد كان لإسهام المغاربة بتراثهم النّحوي وبجهودهم في قيام مدرسة مصر والشّام النّحويّة التي كانت آخر المدارس النّحويّة العربيّة القديمة، فكانت مواقفها وآراؤها في كثير من الأحيان تبعا لآراء المغاربة ومماثلة لمواقفهم[32].حتى إنّهم في هذا العصر "كأصحاب عصر الخليل وسيبويه لا يزداد مع هرم الزّمان إلّا جدّة وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكلّ عالم في أيّ علم لا يكون متمكّنا من علم النّحو بحيث لا تخفى عليه الدّقائق فليس عندهم بمستحق للتّمييزولا سالم من الازدراء"[33].

فلا يمكن إذن إنكار فضلهم وجميل صنيعهم وعظم شأنهم؛ فقد كانت دراساتهم متكاملة ناضجة دقيقة ومتينة.

وهكذا أسهمت هذه المدرسة النّحويّة المغاربيّة والمدرسة الأندلسيّة في بناء النّحو العربي الشّامخ وأضافت إليه قمة شمّاء أخرى، جعلته أكثر سموا وعلوّا وأرسخ قدما فحق لها أن تنزل بين مدارس النّحو منزلتها التي تستحق.

5-الخاتمة: بعد هذه الرّحلة المقتضبة في رحاب هذا البحث خرجنا بجملة من النّتائج يمكن تلخيصها في مجموعة من النّقاط جاءت على النّحو الآتي:

- كانت الحركة العلميّة في نشاط واكتمال في عهد الدّولتين المرابطيّة والموحّديّة وكان لعلوم النّحو واللّغة من ذلك نصيب ملحوظ. ومن مظاهر الحضارة العربيّة في تلك العصور أن كان العلم من أقوى دعائمها؛

-عنايّة علماء المغرب والأندلس ورعايتهم واهتمامهم بالعلوم اللّغويّة-لاسيما النّحو منها-والذي شهد نهضة فكريّة حتى بلغ الذّروة العليا؛

-سار العرب في المغرب على هذا النّهج واتّجهوا إلى الدّولة العربيّة في المشرق ينهلون من علمها وثقافتها وكانت الرّحلات العلميّة بين المشرق والمغرب نشيطة فامتد النّشاط إلى بلاد المغرب فظهر فيها علماء أجلاء ضارعوا علماء المشرق، وعنوا أكثر ما عنوا بالعلوم

الشّرعيّة وبالعلوم اللّغويّة وبالنّحو وقد نزح كثير منهم إلى المشرق وقاموا بالتّدريس في مساجده ومدارسه؛

-غدت أرض المغرب والأندلس قبلة العلوم؛ فلقد كانت لجهودهم العلميّة واللّغويّة الثّريّة انعكاسات طيّبة تجلّت في ظهور مذهب نحوي خالصّ يقوم على التّوفيق بين المذهبين البصري والكوفي؛

-لنّحاة المغرب والأندلس جهود محمودة وآثار لها قيمتها في اللّغة وتتمثّل هذه الجهود في صورشتى منها: وضع المختصرات للمطولات من كتب اللّغة والنّحو وتأليف كتب مستقلة في النّحو والصّرف، ووضع شروح لبعض كتب النّحو في قصائد أراجيز طويلة، تيسيرا للدّارسين على استيعابها وتذكرها عند الاقتضاء لسهولة حفظ الشّعر ومن ذلك ألفيّة ابن معط؛

-انتهاجهم سبيل التيسير والتّسهيل لتعليم العربيّة للطلبة والنّاشئة نمّ عن براعة فائقة وأظهر قدرة عظيمة في فهمهم لعلم النّحو وخفاياه ودقائقه؛

-تعدّد العوامل التي دفعت نحاة المغرب والأندلس إلى تيسير النّحو وتبسيطه منها : اختلاف الأجناس في الأندلس، البعد الجغرافي بين الأوطان العربيّة والأندلس. كما أسهمت عوامل عدّة في تطويره وازدهاره أبرزها الرّحلات العلميّة والتّجاريّة المناظرات النّحويّة، وتشجيع الحكام للنّحاة وإغداقهم بالعطايا والهدايا حتى أصبح علم النّحو في طليعة العلوم اللّغويّة عندهم؛

- الاضطلاع بتدريس النّحو والإسهام في تيسيره، وتذليل مصاعبه بعيدا عن التّعقيد والشّوائب والغموض والتّكلّف من خلال استحداثهم اتجاها خاصا ومنهجا صارما واضح المعالم، وتقديمه في قالب جديد يسير. وبهذا قد استحدث المغاربة مذهبا جديدا إلى جانب مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين والمصريين، ودعامة هذا المذهب تتمثّل في الآراء والاختيارات النّحويّة التي أبداها علماؤهم في بعض المسائل، وقد أشير إليها في كتب النّحو في المباحث التي ترتبط بها؛

-سجل المغاربة والأندلسيون إضافات نوعيّة في المشرق والمغرب، وتركوا سجلاّت نحويّة تليق بمقام النّحو العربي الشّامخ الشّاهق، فلولا جهود النّحاة لما استقام عود النّحو ووصل إلى ما وصل إليه الآن؛

- جهود نحاة المغرب والأندلس لها أعظم الأثر في إثراء الدّراسات اللّغويّة والنّحويّة والتي لا يمكن إغفالها أو القفز عنها؛ فقد أغنت المكتبة العربيّة بذخائر مؤلّفاتها ونفائس مصنّفاتها ذات القيمة العظيمة والفائدة الجليلة أسهمت في إذكاء روح التّأليف والتّصنيف ممّا جعل عدداً من المعاصرين يعدّون الدّرس النّحوي في المغرب والأندلس مدرسة نحويّة قائمة بذاتها.

قائمة المصادر والمراجع:

1-أبو بكر محمّد بن الحسن الزّبيدي، طبقات النّحويين واللّغويين، تح/محمّد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، مصر)، (د.ط)، (د.ت).

2-أحمد أمين، ظهر الإسلام، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة (بيروت لبنان)، ط2، (2007).

3-أحمد بن محمّد المقري، الطّيب في غصن الأندلس الرّطيب، دار صادر، (بيروت لبنان) مج7، (1968).

4-أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند العرب، عالم الكتب، (القاهرة مصر) ط8 (2003).

5-ألبير حبيب مطلق، الحركة اللّغويّة في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهايّة عصر ملوك الطّوائف، المكتبة العصريّة، (بيروت، لبنان).

6-خضر موسى، النّحو والنّحاة، (المدارس والخصائص)، عالم الكتب (القاهرة مصر)، ط1 (2003).

7-رضا عبد الجليل الطّيار، الدّراسات اللّغويّة في الأندلس، دار الرّشيد للنشر (بغداد العراق) د.ط، (1980).

8-سعيد الأفغاني، من تاريخ النّحو، دار الفكر، (بيروت، لبنان)، د. ط د.ت.

9-السّيوطي، بغيّة الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، تح/ مصطفى عبد القاهر عطا، دار الكتب العلميّة، (بيروت، لبنان)، ط1، (2004).

10-شرف الدّين الرّاجحي، في علم اللّغة عند العرب ورؤى علم اللّغة، دار المعرفة الجامعيّة (الإسكندريّة، مصر).

11-شوقي ضيف، المدارس النّحويّة، دار المعارف، (مصر)، ط2 (1972).

12-صالح بلعيد، في أصول النّحو، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع (الجزائر) د.ط (2005).

13-عبد الجواد إبراهيم، معجم علماء اللّغة والنّحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة دار الآفاق العربيّة، (القاهرة، مصر)، (2004).

14-عبد العزيز عبد الله، تطور الفكر واللّغة في المغرب الحديث، دار لسان العرب (بيروت لبنان)، د. ط، د. سنة.

15-عبد الكريم بكري، ابن مضاء وموقفه من أصول النّحو العربي، إشراف يوسف وراد، رسالة دكتوراه، جامعة (وهران، الجزائر)، (1982).

16-عبد الله شريط، تاريخ الثّقافة والأدب في المشرق والمغرب، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب (الجزائر)، ط3، (1983).

17-عبد الله كنون، النّبوغ المغربي في الأدب العربي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني (بيروت، لبنان)، ج1، د. ط، (1975).

18-عمار ربيح، مدرسة النّحو في المغرب والأندلس خلال القرنين السّابع والثّامن الهجريين بحث في المصطلح والمنهج والوظائف، إشراف محمّد خان جامعة محمّد خيضر، (بسكرة، الجزائر) (2008).

19-محمّد الطّنطاوي، نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، دار المنار،(مصر) (1991).

20-محمّد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، دار المدني، (جدة السّعوديّة) د.ط د.ت.

21-محمّد بن عمار درين، تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس، سلسلة الرّسائل الجامعيّة، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، (الرّياض، السّعوديّة) (1427)هـ.

22-محمّد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس مطبعة لجنة التّليف والتّرجمة والنّشر، (القاهرة، مصر)، ط1، (1964).

23-محمود أحمد نحلة، النّحو العربي أعلام ونصوص، دار المعرفة الجامعيّة (مصر)، د.ط (2003).

24-مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، المجمع الثّقافي، (الإمارات العربيّة المتّحدة) د.ط (2002).

25-يوسف عيد، النّشاط المعجمي في (الأندلس).

الهوامش:

[1] عبد العزيز عبد الله، تطور الفكر واللّغة في المغرب الحديث، دار لسان العرب بيروت لبنان، د.ط، د. سنة ص 21.

[2] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي في الأدب العربي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان، ج1، د. ط 1975، ص 115.

[3] محمّد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مطبعة لجنة التّليف والتّرجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1964، ق1، ص 26.

[4] ينظر: رضا عبد الجليل الطّيار، الدّراسات اللّغويّة في الأندلس، دار الرّشيد للنشر بغداد العراق، د. ط 1980، ص 13.

[5] ينظر: محمّد بن عمار درين، تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس، سلسلة الرّسائل الجامعيّة جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الرّياض السّعوديّة، 1427هـ، 1/41.

[6] أحمدأمين، ظهر الإسلام، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة بيروت لبنان ط2، 2007 3/64، 65.

[7] ينظر عبد الكريم بكري، ابن مضاء وموقفه من أصول النّحو العربي، إشراف يوسف وراد رسالة دكتوراه جامعة وهران، الجزائر، 1982، ص 23.

[8] شوقي ضيف، المدارس النّحويّة، دار المعارف، مصر، ط2، 1972، ص 288.

[9] ينظر: ألبير حبيب مطلق، الحركة اللّغويّة في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهايّة عصر ملوك الطّوائف المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ص 51.

[10] أبو بكر محمّد بن الحسن الزّبيدي، طبقات النّحويين واللّغويين، تح/محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 311.

[11] عبد الجواد إبراهيم، معجم علماء اللّغة والنّحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة دار الآفاق العربيّة، القاهرة، مصر، 2004، ص 08.

[12] عبد الله شريط، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، المؤسسة الوطنيّة للكتاب الجزائر، ط3 1983، ص 146.

[13] ينظر: ألبير حبيب مطلق، الحركة اللّغويّة في الأندلس منذ الفتح العربي إلى نهايّة عصر ملوك الطّوائف ص 55.

[14] سعيد الأفغاني، من تاريخ النّحو، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 97.

[15] محمّد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، دار المدني، جدة، السّعوديّة د.ط د.ت ج1، ص 12.

[16] ينظر: محمود أحمد نحلة، النحو العربي أعلام ونصوص، دار المعرفة الجامعيّة مصر د.ط، 2003، ص18 24.

[17] ينظر: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، المجمع الثقافي، الإمارات العربيّة المتّحدة د.ط، 2002، ص 459، 462.

[18] ينظر: خضر موسى، النّحو والنحاة، (المدارس والخصائص)، عالم الكتب القاهرة مصر ط1، 2003، ص 250، 257.

[19] ألبير حبيب مطلق، الحركة اللّغويّة في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهايّة عصر ملوك الطّوائف، ص 262.

[20] يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1 1992 ص 3.

[21] ألبير حبيب مطلق، الحركة اللّغويّة في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهايّة عصر ملوك الطّوائف، ص 58.

[22] يوسف عيد، النشاط المعجمي في الأندلس، ص 39، 34.

[23] ألبير حبيب مطلق، الحركة اللّغويّة في الأندلس منذ الفتح حتى نهايّة عصر ملوك الطّوائف، ص 53.

[24] محمّد الطّنطاوي، نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، دار المنار، مصر، 1991 ص 130.

[25] السّيوطي، بغيّة الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، تح/ مصطفى عبد القاهر عطا، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط1، 2004، 1/405.

[26] ينظر: الزّبيدي، طبقات النّحويين واللّغويين، ص 282.

[27] شرف الدّين الرّاجحي، في علم اللّغة عند العرب ورؤى علم اللّغة، دار المعرفة الجامعيّة الإسكندريّة، مصر د.ت، ص 88.

[28] أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط8 2003 ص 124.

[29] عمار رييح، مدرسة النّحو في المغرب والأندلس خلال القرنين السّابع والثامن الهجريين بحث في المصطلح والمنهج والوظائف، إشراف محمّد خان، جامعة محمّد خيضر، بسكرة الجزائر، 2008-2009، ص 354.

[30] المرجع نفسه، ص 355.

[31] ينظر: صالح بلعيد، في أصول النّحو، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع الجزائر د.ط، 2005، ص165.

[32] ينظر: عمار رييح، مدرسة النّحو في المغرب والأندلس خلال القرنين السّابع والثامن الهجريين، بحث في المصطلح والمنهج والوظائف، ص 356.

[33] أحمد بن محمّد المقري، نفح الطّيب في غصن الأندلس الرّطيب، دار صادر بيروت لبنان مج1، 1968، 7/ص221.